الصمت والرياح

مسرحية بقلم حسن النجمي

(الى الشاعر خليل حاوي)

الاشخاص :

١ ـ السندباد : شيخ طويل القامة نحيلها ، اسمر البشرة، تائه النظرات في عينيه وصوته واشارات يديه ما يوحي بالثقة والسيطرة.

٢ ـ علاء الدين : شيخ في ثياب البحارة ، قصير القامة يميل الى البدانة ، في وجهه ما يثير الشفقة والسخرية .

٣ ـ الربان : شاب طويل القامة في الثلاثين من العمر ، غزير شعر اللحية ، قاسي النظرات .

٤ ـ بحارة وركاب من مختلف الاعمار .

(المشهد الاول)

(المكان : سطح سفينة تجارية قديمة)

السندباد ـ (مخاطبا نفسه وهو يحدق الى الماء) هنا ضاع شبابك ايها الشيخ ، هنا واجهت الموت مرات وانتصرت ، هنا مت وولدت دون ان تدرك لماذا .. (يصمت برهة) ولعلك ـ بعد كل ما مر بك من تجارب ـ لست بأفضل من رفاقك القابعين في الخان رفاق الرواق . لعلك اسوأهم طالعا واكثرهم فشلا .. (يزفر بحقد ويتنهد) هنا فقدت نفسك لزمن طويل قبل ان تهتدي اليها كما فقد رفاقك انفسهم في.. قهوة البشير .. والدهاليز المعتمة والقيان .. « يدمدم بحرقة » الثامنة .. الرحلة الثامنة هي السبب .. « يخيل اليه انه مراقب فيلتفت ويرى علاء الدين » .

علاء الدين ـ انا علاء الدين .. علاء الدين ، الذي سافر معك في اولى رحلاتك ..

السندباد ـ آه .. تذكرتك .. علاء الدين الذي كان يهرف بحكاية القنديل المسحور والساحر الذي خدعه ..

علاء الدين ـ « بدهشة » حتى انت يا سندباد . الا تذكر انك استمعت الي بشغف وصدقت حكايتي ؟

السندباد ـ « هازا برآسه » ما اسرع ما يصدق الشباب ..

علاء الدين ـ اتعني انك لا تصدقني الان وقد كنت اول من صدقك وروى كل مغامراتك مع الزيادة في كل المرافىء .. انك مدين لي بشهرتك الواسعة وصيتك .. انني راوية اخبار ممتاز وقد صدق الناس كل ما رويته لهم عن رحلاتك السبع ببلاهة منقطعة النظير ...

السندباد ـ (بمرارة) ليت البلاهة اسعفتهم وصدقوا ما قلته لهم بنفسي عن الرحلةالثامنة ..

علاء الدين ـ (بحماس) ارو لي تفاصيل الرحلة الثامنة وانا الكفيل بنشرها واذاعتها بينهم ودحض كل ما يقال عنك ويفترى عليك ..

السندباد ـ (بهدوء مشحون بالغيظ) ماذا يقال عني ؟اصدقني القول

علاء الدين ـ (بتردد) يقال انك عدت مخبولا تنتابه الحمى ، كما يشاع انك تهذي وتهرف بأشياء لا معنى لها ، أشياء لا يفهمها أحد ، مبهمة توفر الاذان ..

السندباد ـ (ساهما) هذا اذن ما يتناقله الناس عني ؟

علاء الدين ـ نعم واسوأ من هذا .. يقولون انك شخت وانحل عزمك واصبحت تتخيل اشياء غير موجودة .

السندباد ـ (بجد واناة) ألم يسبق لك ان أحسست بالعاصفة قبل ان تبدو بوادرها في الافق بل قبل ان تقلع السفينة ؟ ألم تشعر ـ ولو لمرة واحدة ـ بأنك تبصر بشيء اخر غير عينيك ؟

علاء الدين ـ (بمرارة) لا .. ابدا ولو توفر لي بعض هذا لما فقدت القنديل .. (بفورة) لقد كان في يدي يا سندباد ، في يميني هذه وفجاة انتهى كل شيء .. فقدته .. ولكني لم أقطع الامل من استرجاعه .. انت تعرف بقية القصة ، لقد صرت الى ما انا فيه بدلا من ان اصل الى ما كان يجب ان اصل اليه ..

السندباد ـ (وهو يضحك ضحكة صفراء) لكل قنديله المسحور يا علاء لكل لعبته المفضلة والهيته ..

علاء الدين ـ (وكأنه تذكر) ولكنك لم تحدثني بعد عن تفاصيل رحلتك الثامنة .

السندباد ـ لا شيء يا علاء الدين .. لقد صدقوا .. لا شيء غير الوهم والخسارة غير رؤيا ما اهتدت للفظ خانتها العبارة .

علاء الدين ـ لم أفهمك يا سندباد ، انك تنطق بالشعر ، ما هي هذه الرؤيا التي تتحدث عنها ؟

السندباد ـ (ملتفتا حوله كمن يفتش عن الفاظ مبسطة) الرؤيا هي ما يخيل اليك انك وجدت الطريق الموصلة الى .. (يتوقف) .

علاء الدين ـ الطريق الموصلة الى أين ؟

السندباد ـ هي ما يخيل اليك انك الطريق والوصول معا ، انك الكل بالاضافة الى نفسك ، ان الاخرين من الضرورة بمكان وان خلاصهم من الاهمية بحيث يتوجب عليك ان تصنع شيئا من أجلهم ، ان تعطيهم شيئا لم يعرفوه ، شيئا يحسون به قلقا ضبابيا في أعماقهم ، شيئا عاشوا دهورا دون ان يدركوه او يصلوا اليه .. الرؤيا هي ان تصبح مبصرا ينفذ الى قلب الشيء ، الى حقيقته الاخرى المغلفة بالقشور السميكة ..

علاء الدين ـ حقيقة الشيء.؟ القشور ؟. انني لا أفهم ما ترمي اليه مع انني أرى كل شيء ، أراه جميلا ورائعا ولولا ضياع القنديل ...

السندباد ـ (مقاطعا بصوت تشيع فيه الحيرة) لا أدري هل أغبطك أم أحسدك يا علاء ، ولكنك لو كنت مثلي لتحولت الاشياء في عينك الى نقائضها ولبات ضياع القنديل ووجوده واحدا عندك ..

علاء الدين ـ أهذا ما عدت به من رحلتك الثامنة ، هذه الافكار والرؤيا فقط ؟؟

السندباد ـ اولم تدرك بعد كل ما قلته لك آي شيء عظيم هي الرؤيا ؟

علاء الدين ـ لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يا سندباد انك تتكلم بالالغاز والرموز ..

السندباد ـ اذن ... سأشرح لك . حين تقذف بحجر الى البحيرة الساكنة تحصل على دوائر تتسع وتتسع وتتلاشى تاركة للبحيرة سكونها الاصيل الذي كانت عليه ، كذلك الرؤيا تهبط على صفحة النفس الساكنة لتفعل فعل الحجر في البحيرة وتخلف مكانها طمأنينة شاملة تجعلك تعقل الاشياء وتفهمها وتدرك ادراكا عميقا ، تجعلك تحس بالمحبة المحيية تغمرك من الرأس الى القدم وتفيض عنك ... الرؤيا هي هذا حينا وحينا اخر تشبه ضبابا كثيفا تلتمع في اخره نجمة عجيبة ما تكاد تلمسها يداك حتى يغمرك النور وتصبح شفافا تعلن لك الاشياء عن نفسها وتتعرى امامك بلا خجل ارحام الحياة المختلفة .. الرؤيا . يا للنشوة التي تخلفها في النفس ، يا لليقين والفرحة التي لا تجارى .. يا للقوة التي تجعلك تحس بنفسك حرا طليقا يحمل في يده مصباحا ساحر الضوء ينير به الدرب للواقفين المترددين على طرف الجسر الاخر ، الواقفين منذ لحظة ميلادهم دون ان يجرؤوا على العبور ..

علاء الدين ـ وماذا يهمك من الاخرين يا سندباد ؟ سواء عليك أعبروا ام لم يعبروا ..

السندباد ـ (بلهجة صوفية) عندما تصبح شاعرا في فمه بشارة ، عليه ان يقولها ، شاعرا يقول ما يقول بفطرة الطير التي تشم ما في نية الغابات والرياح ، تحس ما في رحم الفصول ، تراه قبل ان يولد في الفصول ، عندما تصبح ذلك الشاعر الذي تنفتح امامه معارج الغيب والدروب التي لم تطرق ، تود لو تصبح يداك سيلا وثلوجا تمسح الذنوب ، تنمي الطيب من عفن الامس ، او بحرا تضيع فيه التماسيح وحقود الانهر الموحلة ..

علاء الدين ـ (بعد كل ذهن) ولكني لم أفهم لماذا تخليت عن التجارة والربح كل تلك المدة ، أم تراك طرقت سوق الشعر والرؤيا وخسرت ؟.

السندباد ـ هو ما تقول ، تاجرت بالشعر والرؤى وخسرت ..

علاء الدين ـ (مستنكرا) أتخسر وأنت التاجر الماهر ؟. لا بد انك لم تجد السوق المناسبة ..

السندباد ـ (بألم) السوق موجودة ، ولكن المهرجين والكهنة هم سادتها الاشاوس ..

علاء الدين ـ (بألم صادق ومشاركة) واذن خسرت رأس المال والتجارة في الثامنة كما خسرت ما جلبته معك من الرؤى ..

(يدق كفا بكف) لا حول ولا قوة .. (بلهفة) انك تسافر الان لتعوض الخسارتين .. أليس كذلك ؟

السندباد ـ (بحسرة) هيهات يا علاء .. لقد سبقني الزمن ومضت القافلة .. انني هنا لشأن اخر لا أعرف ما هو بالضبط ولكني أحس بالفطرة انه أعظم مما مر بي ..

علاء الدين ـ (مقاطعا) آه لو ملكت يدي ذلك القنديل اللعين مرة اخرى .. اذن لـ ...

السندباد ـ (مواسيا) هون عليك يا صاحبي ، ستجده فما زال الوقت متسعا امامك ..

علاء الدين ـ الذي أخشاه هو ان اموت دون ان أجده .. لقد هرمت وكذلك حالك .. انك لم تعد صلب العود يا سندباد ، لقد كان من حقك ان تقبع في دارك بسلام قانعا بما تبقى لديك بانتظار النهاية..

السندباد ـ أتظن انني ممن يرضون ان يموتوا في دورهم ، هكذا كالديدان ؟

علاء الدين ـ وماذا في ذلك .. كلنا سنموت يوما ، والافضل ان يموت الانسان في بلده وداره بين احبائه ..

السندباد ـ الافضل لمن عاش مثلي ان يموت وهو يبحث عن الحياة في بلد اخر ..

علاء الدين ـ لم أفهم ..

السندباد ـ (وكأنه لم يسمع) وان يموت بسرعة خاطفة .. ومضة برق وتتلاشى الاشياء كلها من الوجود بالنسبة اليه ، ولا يبقى سوى رائحة الملح في الرئتين وزرقة الماء والجزر الجميلة والنخيل في العينين .. ومضة برق تضيء المكان حوله ، تغمره بلحظة وداع غنية وهي تصافحه بشوقها وحبها الكبير المدرك ..

علاء الدين ـ (بدهشة) سندباد ..

السندباد ـ (متابعا دون ان يشعر بوجوده) هي ذي رؤياك الاخيرة يا سندباد ، رؤياك المميتة المحيية ..

(المشهد الثاني)

(سطح السفينة ذاته ، بعد الغروب ، وقد بدا البحر داكن اللون وازدادت سرعة السفينة ، بحارة يروحون ويجيئون بقلق وهم لا ينفكون عن النظر الى الافق بخوف ورهبة) .

السندباد ـ (مخاطبا نفسه بصوت مرتفع) انها النهاية .. انها العودة الى البدء ولم يبق لك الا ان تختار مصيرك .

علاء الدين ـ (مقتربا من السندباد وهو يمسك بالحاجز خوفا من السقوط) ستهب العاصفة يا سندباد ، من الافضل ان تذهب الى حجرتك .

السندباد ـ أعرف هذا .. وانني باق هنا حتى النهاية ..

علاء الدين ـ أراك واجما فهل صرت تخشى العواصف يا سندباد ؟

السندباد ـ (بسخرية) أخشى العواصف ؟. ان العاصفة هي بيتي ووطني الاول والاخير ، فيها اهتدي الى نفسي أدرك معنى وجودي وأجد الخلاص ..

(تهب ريح قاسية تمزق الاشرعة وتسمع صيحات نساء واولاد ويرى البحارة وهم يقفزون هنا وهناك في محاولة أخيرة للسيطرة على السفينة) .

علاء الدين ـ (بتوتر) ما العمل الان ؟. لا حول ولا قوة .. ما العمل يا سندباد ؟.

رئيس البحارة ـ (مسرعا من طرف السفينة) لقد تحطمت الدفة والسفينة لا بد جانحة الى الصخور .. ما العمل يا سندباد ؟

السندباد ـ (بلا مبالاة وبرود) اين الربان ؟ ان واجبه هو ان يجد لكم حلا ينقذكم به .. انني مجرد مسافر عادي معكم ..

رئيس البحارة ـ (بقنوط) ان الربان ملقى في حجرته يعاني من الحمى ..

السندباد ـ (بسخرية) الحمى .. انه يعاني من النبيذ بعد ان اطمأن الى قدرته على القيادة .. (محدثا نفسه) ما أعظم الشبه بينه وبين ربان سفينة اخر كان يبدو لي في نهاية كل رؤيا ..

رئيس البحارة ـ (باسترحام) ألا تسمع يا سندباد صراخ الاطفال وعويل النساء ؟

علاء الدين ـ (بتوسل) اصنع شيئا ، اي شيء .. انك تعرف البحر كما تعرف ما في بيتك ..

السندباد ـ (فجأة وقد بدا على وجهه التصميم) انزلوا قوارب النجاة بسرعة (متطلعا الى الماء) ان السفينة تقترب من الصخور ..

رئيس البحارة ـ (صارخا) القوارب .. انزلوا القوارب ..

(يبدأ البحارة بانزال القوارب ، يسمع صوت تدافع الركاب وترى اشباحهم في جانب السفينة الاخر)

علاء الدين ـ انه اخر قارب يا سندباد .. الن تنزل معنا ؟

السندباد ـ (وهو يدفعه عنه برفق) سأتأخر قليلا يا علاء وسنلتقي في الجزيرة ..

علاء الدين ـ ولكن كيف ؟

السندباد ـ لا تكثر من الاسئلة الان ، اذهب ..

(يدفعه الى البحارة ويرفع عقيرته صائحا) رافقتكم السلامة.

(يكفهر الافق ويبدو السندباد واقفا في وسط السفينة مشرق الوجه ضاحك الاسارير وهو يفرك كفيه)

السندباد ـ سيبلغون الجزيرة قبل بزوغ الشمس ، سيحيون كما يظنون ، دون ان يشعروا ان على كتفي كل منهم كسيحا لا يشبع ولا ينام ... (يضحك بسخرية) ولكنهم سيسعدون لانهم لن يشعروا بثقله على اكتافهم .. لقد ولدوا لهذا الغرض وسيموتون دون ان يعرفوا انهم كانوا مطايا مخلصة لذلك الكسيح .. (يتحسس كتفيه) لقد أسقيته الخمر ، طرحته عن كتفي ، قطعت جذور وجوده في نفسي ، انه ساحر ذلك الكسيح اللعين ، ولا يحس بثقله غير الشاعر .. الشاعر الذي يقول ما يقول .. لقد اقتربت الساعة التي تحتم علي ان أقول كل شيء .. اقول كل شيء ؟ لا بل أعمل ما كان يجب علي عمله ، واعلن ما كان علي اعلانه ..

(يسمع دوي وطقطقة اخشاب ، تميل السفينة ويكاد يفقد السندباد توازنه)

(بلهفة وكأنه تذكر شيئا مهما) الربان .. سيموت مختنقا في حجرته .. لقد هجره الجميع ..

الربان ـ (وقد بدا واقفا على السطح وهو يتمايل من السكر) اين أنتم ايها القذرون .. سأعاقبكم اشد العقاب ..

السندباد ـ (وهو ينظر اليه بحقد) لن تعاقب احدا ، لقد افلتوا من قفصك هذا ، لقد رحلوا ، ذهبوا وهجروك ، تركوك وحدك لتموت ..

الربان ـ (وقد بدأ يدرك ما حوله ويعود الى وعيه) اننا نغرق يا رجل .. فز بنفسك ..

(تتمايل السفينة بعنف)

الربان ـ باي اتجاه ذهبت القوارب ؟

السندباد ـ (بسخرية) لن اقول لك .. اذ لا فائدة من القول .. لقد ذهبوا ..

الربان ـ (وهو يهزه) قل ايها المعتوه في أي اتجاه ذهبوا ؟

السندباد ـ (ذاهلا) لا ادري .. الى الخلاص وربما الى الضياع .. من الصعب ان تحكم في مثل هذه الحالة .. اليس كذلك ؟

الربان ـ (وهو يقترب من الحاجز ليلقي بنفسه الى البحر) فز بنفسك ايها المجنون قبل فوات الوقت ..

السندباد ـ (يعترض طريقه ويمسك بثوبه) لا .. انك لن تذهب بعيدا .. لن تتبعهم ، ستبقى هنا معي ، على الربان ان يواجه العاصفة ويبقى في السفينة حتى النهاية ، ان يموت معها اذا لزم الامر ..

الربان ـ (صارخا) دع ثوبي ايها الاحمق ..

السندباد ـ (باصرار وهو يشدد قبضته) انك تذكرني بربان هجر سفينة كبيرة تمخر البحار منذ الازل ، هجرها ، تخلى عنها وتركها لتغرق .. انني أكره كل ربان يترك سفينته للغرق ، ستموت معي ..

الربان ـ (بذعر) اننا نغرق ايها المجنون ، دعني والا قتلتك ..

السندباد ـ (باصرار) لا لن أتركك ايها الربان القاسي ، ستموت معي .. (يستل الربان خنجرا من حزامه ويطعن السندباد ثلاث طعنات في خاصرته .. يقع السندباد على كوم من الحبال ويرى الربان وهو يقفز الى البحر)

السندباد ـ (بصوت خافت وقد تدفق الدم من فمه وجراحه وبدا عليه كأنه يبتسم) لن يلحق بهم ، ستبتلعه الحيتان في الطريق .. سيموت وسيرى الجميع جثته مرمية على الشاطىء ولن يعودوا الى التفكير بالخلاص عن طريقه ..

(بصوت أكثر خفوتا) هذه هي نهاية الربابنة القساة .. الموت .. الموت ...

(تغوص السفينة بسرعة الى القاع تاركة على سطح البحر بعض الفقاعات التي ما تلبث حتى تزول بدورها .. ويسود الصمت من جديد) .

(ستار)

قطر

حسن النجمي

يسر ((دار الاداب)) و ((مكتبة النهضة الجزائرية)) ان تقدما الى القراء العرب في مختلف اقطارهم

اول انتاج لبناني جزائري مشترك

الفاشية العالمية الجديدة

بقلم

محمد مبارك الميلي

رئيس تحرير جريدة ((الشعب))

لسان حال جبهة التحرير الوطني الجزائرية

اول دراسة من نوعها عن نشاط المؤسسات والشبكات الفاشية في العالم ، ولا سيما نشاط منظمة الجيش السرية الفرنسية في الجزائر .

صدر حديثا

الثمن ٢٠٠ ق.ل